مجلة ثقافية فصلية تعني بالفكر والثقافة

فكر الثقافية

http://www.facebook.com/profile.php?id=100005076097339

كان للعدد الثاني من مجلة فكر الثقافية صدى واسع بين نخب المثقفين والقراء؛ فمجلة فكر هي مجلة كل العرب أينما كانوا، فيمكنكم المساهمة بأفكاركم ومشاركاتهم التي تهدف إلى إثراء محتوى المجلة الثقافي. وفي هذا العدد يمكنكم من استخدام عناوين المحتويات للتنقل داخل المجلة، وكذلك استخدام الروابط بالضغط عليها كي توصلكم إلى المواقع الأخرى على شبكة الانترنت ولمشاهدة مقاطع الفيديو والأفلام الوثائقية كل ذلك من أجل المتعة والفائدة.

المبتكر للجرافيكس والتحرير
ALMUBTKER For Graphics and Editing
almubtker@gmail.com

المبتكر للجرافيكس

فرصة للمشاركة على إيميل:

fikrmag2@gmail.com

المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

المحتويات

موضوع الغلاف	3
بين السطور	12
أفكار مضيئة	14
تقرير	33
جوائز	36
حياتنا	38
كتب	41
مكتبات	44
مراجعات	48
فنون	55
معالم وحضارات	60
صدر حديثًا	64
دبل كليك	68
علوم	71
نقطة ضوء	74
شعر	75

في هذا العدد يكتب لكم:

محمد الفريح: كيف تسوق كتابك (الجزء الثاني)

البروفيسور مهند الفلوجي: عدتُ إلى لندن وأنا مليء بذكريات حلوة لا تنسى.

ميسون أبو بكر: ملتقى الفجيرة للإعلام والأدب والفن.

د.أمير تاج السر: الكتابة المحظوظة.

أحمد الصمعاني: عالم المعرفة العربية.

غادة العمودي: توظيف أدوات المحفظة الإلكترونية في دعم التقييم البنائي.

هند عبد العزيز: ألعاب الفيديو والكمبيوتر والتأثير النفسي والجسدي.

ناصر الزمل: هؤلاء غيروا حياة البشرية – فينت سيرف وبوب خان مؤسسي الانترنت.

معالم وحضارات

حياتنا

فنون

علوم

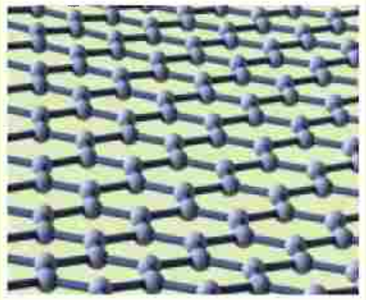

أدب الطفل بين الواقع والمأمول

فكر

يُعد أدب الأطفال جزءاً من الأدب بعمومه ويحمل خصائصه وصفاته ولكنه يعنى فقط بطبقة محدودة من القراء هم الأطفال وهو وإن استفاد من الفنون الحديثة والرسوم والصور والأشكال التوضيحية فإنه يحمل -في النهاية- مضموناً معيناً سواء صيغ بأسلوب المقالة أو بأسلوب القصة أو الأنشودة أو الحكاية.

ارتبطت نشأة أدب الطفل في العالم العربي في المئة سنة الأخيرة التي شهدت ظهوره كفن مستقل، بنظيره في أوروبا، وهذا يعني أنه نشأ في إطار التقليد للأمم الغربية التي قطعت شوطاً مهما في إبراز معالم هذا الجنس الأدبي وخصائصه النوعية، فقد كان دافع الرواد الأوائل في العالم العربي من وراء الكتابة للطفل والترجمة إليه، هو نقل التجربة الأوروبية التي شكلت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن التالي له نموذجا نهضوياً يحتذى.

غير أن هذا الإطار التاريخي لنشأة أدب الطفل أو الكتابة الأدبية للأطفال لم يكن يعني أن الرواد الأوائل في العالم العربي كان شغلهم الشاغل نقل النموذج الغربي بحذافيره، واستنساخ أدب الطفل الغربي بقضاياه وهمومه، وإنما المقصود فقط القول بأن بداية الاهتمام بالطفل والطفولة في الحقل الأدبي ارتبطت بالفكر الأوروبي الذي انفتح عليه العرب والمسلمون في بداية القرن الفائت، وهكذا تمت العودة إلى التراث العربي والإسلامي للاغتراف منه واستلهامه في الكتابة للطفل، وحتى في تلك الترجمات التي قام بها بعض الرواد للقصص والحكايات والأشعار الأوربية المكتوبة للأطفال، مثلما فعل أحمد شوقي مع (خرافات) لافونتين الفرنسي، بقي التراث الإسلامي الفني حاضراً في تلك التجارب، سواء من حيث المضامين والأهداف، أو من حيث الأساليب الأدبية العربية، إلى الحد الذي يختفي فيه الفاصل بين النص المترجم والنص الثاني، كما يتضح حين نقلب (الشوقيات). ويمكن القول: إن تجربة الرعيل الأول من الكتاب والشعراء العرب في التأليف للأطفال كانت تجربة أصيلة، وكان حافزهم التربية والتعليم وتكوين جيل متشبع بالقيم والمثل الكبرى للأمة، في فترة من الزمن طبعتها المواجهة مع الفكر الغربي الوافد، وهاجس التأصيل الثقافي والحضاري، فقد كان جل من كتبوا للأطفال في تلك الفترة

ووضعوا اللبنات الأولية لأدب الطفل العربي هم من رجالات الحركات الوطنية التي واجهت الاستعمار، أو من حاملي مشعل النهضة في العالم العربي. ولم يكن الأدب العربي خاصة، والثقافة العربية عامة، قد تلوثا بمظاهر الغزو الثقافي، تحضرني هنا أسماء أحمد شوقي وعلال الفاسي وكامل الكيلاني ومحمد سعيد العريان.

لقد وضع هؤلاء وغيرهم من الجيل الأول قصصاً وأشعاراً للأطفال توخوا فيها التوجيه السليم والوعظ والإرشاد والتقويم والتزكية والإصلاح، وسعوا إلى غرس حب لغة الضاد في نفوس الأطفال، وصقل مواهبهم اللغوية. ولا يقلل التطور الذي حدث في أدب الطفل في المراحل اللاحقة من إنجازاتهم التي كان لها فضل التأسيس.

وأدب الأطفال حديث جداً بمقياس تاريخ الأدب عموماً ولم ينشأ -في صيغته المقروءة المعاصرة- إلا من ذ قرنين من الزمن تقريباً ولا يعني ذلك أنه كان منعدماً لكن الكتابة الأدبية المتخصصة بالأطفال حديثة جداً وبدلاً منها وجدت الحكايات المنقولة شفاهة عبر الأجيال وعلى لسان الأجداد والجدات.

ويعتبر أدب الأطفال بما يحويه من قصص وأشعار وحكايات في صيغة كتاب أو مجلة أو شريط مسموع أو مشاهد ميداناً هاماً لتنمية قدرة الطفل على الإبداع وتنمية القدرات الابتكارية عندهم.

كما يعتبر وسيطاً مناسباً في الجانب التربوي للتعليم وتنمية القدرات الذهنية واستقرار الجوانب النفسية لدى الطفل ويمكن القول إنه يتيح للطفل الشعور بالرضا والثقة بالنفس وحب الحياة والطموح للمستقبل ويؤهله لكي يكون إنساناً إيجابياً في المجتمع.

تعتبر الكتابة للأطفال من أصعب فنون الكتابة والتأليف فقد تجد كاتباً يتكلف الصياغة للطفل ويتقعر في اختيار الألفاظ ويدقق في المعاني ويحاول أن يسبر غور الأطفال حتى يعبر عما يجيش في نفوسهم من خلال قصة أو حكاية أو معلومة أو حتى طرفة.

وليس كل من كتب للكبار يستطيع أن يكتب للصغار فلقد فشل بعض كبار الكتاب في سرد قصة واحدة للأطفال ولعل الصعوبة في ذلك تنبع من عدم قدرة الأديب على فهم عالم الطفل وميوله ونفسيته.

أدب الطفل في العالم العربي

لاشك أن القطيعة التي حدثت بين الرواد الأوائل والمبدعين اللاحقين في الكتابة للطفل قد أثرت كثيراً على وضعية أدب الطفل في العالم العربي. فالتجارب التي جاءت فيما بعد لم تحتفظ بنفس الفلسفة التربوية والاجتماعية التي حكمت الرعيل الأول، وأخذت تقتبس من الغرب الرأسمالي أو الشرق الشيوعي نماذجه الأدبية الخاصة بالطفل، بحسب التوجهات الإيديولوجية والفكرية التي سادت في العالم العربي خلال الستينيات والسبعينيات والثمانينيات، فبدأت مرحلة التغريب والغزو الثقافي في أدب الأطفال، بمثل ما كان عليه الحال في المجالات الأخرى من أدب وفكر وفن.

لقد تمت التضحية بالطفل العربي والمسلم لصالح الإيديولوجيات الشرقية والغربية التي حملت فلسفات تربوية واجتماعية متصارعة فيما بينها، ومتناقضة في مجموعها مع هوية الطفل العربي الذي كان غائباً في حقيقة الأمر. فمن الواضح أن النماذج الغربية والشرقية لم تستجب لحاجياته ومتطلباته النفسية والروحية والعقلية، الأمر الذي أحدث شرخاً كبيراً في هويته، زاده بلة التطور الذي هم صناعة ثقافة الطفل في الغرب التي اكتسحت البيوت في العالم العربي بفضل انتشار التلفزيون والإعلام السمعي البصري.

إن الفرق بين تجربة الرعيل الأول والتجربة اللاحقة لها يظهر بالأساس في أن الأولى كانت واعية بنفسها، ولها منطلقات محددة وغايات مرسومة، بصرف النظر عما إذا كانت فشلت أو توفقت في التواصل مع المستويات العمرية والمقدرات المختلفة للأطفال العرب، بينما التجربة الثانية انطلقت من غير بلورة الأسس العلمية، التربوية والثقافية، لأدب الطفل، فسقطت في النقل الحرفي لما يكتب في الغرب للطفل غير المسلم، وهو ما وضع أدب الطفل في العالم العربي في محنة حقيقية.

إن التاريخ العربي والإسلامي زاخر بتراث قصصي وشعري هائل من شأنه أن يغني أدب الأطفال ويؤسس لمنظومة تربوية متماسكة، فإلى جانب التراث المكتوب، الغني بما يحويه، هناك تراث شفاهي تناقلته الأجيال عن بعضها البعض، جزء كبير منه له جذور عميقة في الوعي الديني للأمة، عبرت به الأجيال الثقافية بشكل تلقائي عن هموم حياتها اليومية ومشاعرها وقضاياها، غير أن هذا التراث الكبير لم يتحول إلى مادة يمكن استثمارها وتوظيفها في أدب الطفل المسلم، إلا في حالات قليلة لبعض الكتاب والشعراء الإسلاميين المعاصرين، وهي حالات لم تشكل القاعدة بل الاستثناء، وسط ركام كبير من الكتابات المتغربة ذات الأهداف الإيديولوجية المائلة، أو المتسرعة ذات الغايات التجارية، وبين هذين القطبين، ظلت مساحة الاجتهاد المؤصل محدودة ومزاحمة، وتعطل مشروع وضع أدب مستقل للطفل المسلم في العالم العربي له خصوصياته وأسئلته وقضاياه، بسبب القطيعة بين التجارب المختلفة، وعدم اكتمال النمو.

ويكاد يخلو التراث العربي من أدب الأطفال المكتوب وهو كقرينه الأدب الغربي معاصر ومتوافق مع ظهور الطباعة وتوفر أدوات القراءة وانتشار التعليم ومع ذلك هناك بعض المواد التاريخية سواء في الأدب العربي مثل: (عقلة الإصبع)، و(حي بن يقظان) أو الأدب الغربي مثل: (روبنز كروس)، و(إليس في بلاد العجائب).

ويعتبر كتاب الطفل مصدراً رئيساً لتنشئة الطفل وتنمية قدراته ومواهبه وهو غذاؤه العلمي والثقافي والعاطفي يتفاعل معه ويتقمص شخصياته ويقلد أبطاله ويتميز كتاب الطفل بأنه يضم لوناً واحداً من الأدب وموضوعاً واحداً.

وتتنوع كتب الأطفال بين الكتب القصصية التي تحوي قصة طويلة أو مجموعة من القصص أو سلسلة قصصية وقد تكون كتباً علمية أو موسوعات أو كتباً دينية أو تاريخية لكن يغلب على هذه الكتب القصص بأنواعها المختلفة من خيالية واجتماعية وبوليسية.

ولقد اهتم العالم بكتاب الطفل بشكل كبير حيث بذلت الدول الاشتراكية في السنوات السابقة الجهود الضخمة لنشر كتاب الطفل فقد كان يمثل بالنسبة لها وسيلة رئيسة لتأصيل مفهوم الاشتراكية لدى الأطفال وعلى سبيل المثال أصدرت دار نشر واحدة في ألمانيا الشرقية سابقاً 200 ألف كتاب سنوي للأطفال.

أما الدول الغربية فقد سيطر التوجه التجاري عليها فرغم اتساع نطاق النشر لكتب الأطفال إلا أنها بقيت محدودة بسبب قلة المردود التجاري لها.

أما في العالم العربي فلقد كانت بدايات كتب الأطفال عبارة عن ترجمات بإشراف جهات غربية ومساهمات عربية محلية لإصدارات أجنبية يغلب عليها صفة التغريب والانهزامية أمام مقدرات الغرب ثم ظهرت كتب عربية اعتمدت فقط على الحكايات الشعبية والأيام والمعارك المحلية وصاغتها بصياغة معاصرة مما أثر على مستوى المضمون الذي تحمله.

يقول حازم العظم: «إن معظم ما تنشره دور النشر للأطفال مترجم أو مؤلف بغير خبرة كافية؛ فالأدب الخاص قليل ويمر بأزمة وجود، وهذه الأزمة أتاحت لبعض الناشرين في غيبة الرقابة والنقد: البحث عن مجلات وكتب الأطفال الرائجة فقدموها لأطفالنا مترجمة بالصور نفسها بغير تمحيص، مع أنها تحوي قيماً تربوية غير ملائمة لعقيدتنا وقيمنا الروحية، أو مرفوضة حتى في البلاد التي تصدر عنها».

ويقول عبد التواب يوسف: «والأطفال لدينا اليوم ضاقوا بسذاجة الكتب التي تسمى: (كتب الأطفال)، وضاقوا ببساط الريح وسندريلا وغيرها».

ويقول الدكتور محمد شاكر سعيد: «إن كثيراً مما كتب للأطفال في واقعه ليس صالحاً للأطفال لتجاوزه مستويات الأطفال، أو لتجاوزه الجانب التربوي المناسب للأطفال، أو لعدم تضمنه قيماً أخلاقية تسهم في تربية الأطفال وتنشئتهم».

وكانت هناك محاولات جادة قليلة جداً استفادت من التراث الإسلامي والسيرة لكنها لم تستطع الاستمرار والثبات وانعكست مشكلة الكتابة العربية عموماً على كتاب الطفل الذي يتميز بخصوصية المحتوى ومستوى التنفيذ.

وتعتبر قصة (السندباد البحري) التي ألفها كامل كيلاني عام 1927م أول ما كتب في الأدب العربي المعاصر للأطفال.

وبالإضافة إلى ندرة كتاب الطفل وانخفاض مستواه فإنه عانى -ولا يزال- من غياب المتخصصين وتدني الدقة العلمية وعدم التمييز

بين المستويات العمرية للاطفال إضافة إلى الإخراج الرديء والاعتماد على الاقتباس والنقل في الرسوم من الغرب وأخيراً ارتفاع سعر الكتاب الجيد وهو قليل جداً مما يجعله بعيداً عن متناول الأطفال.

ويستهلك العالم العربي نسبة ضئيلة من الورق المستخدم في طباعة الكتب وللمقارنة فقط نجد أن العالم العربي يستهلك أقل من 10% من استهلاك بلجيكا التي لا يتجاوز عدد سكانها بضعة ملايين نسمة ولو خصصنا كتاب الطفل لوجدنا أنه لا يتجاوز نسبة 5% من الكتاب المطبوع بعامة في الوقت الذي يقارب الأطفال نسبة 50 % من السكان ومقارنة بنصيب الطفل الغربي من الكتاب والذي يتراوح بين 2-5 كتب لكل طفل في السنة فإن نصيب الطفل العربي سطر واحد من كتاب.

ورغم قدم صدور كتب الأطفال إلا أنها استمرت قليلة جداً حيث لا يتجاوز ما صدر من كتب للأطفال ألف وخمسمائة كتاب خلال ربع قرن أقل من مائة كتاب في السنة.

قصص الأطفال:

تنتشر بعض الظواهر السلبية في أدب الأطفال وقصصهم ومجلاتهم منها:

- قصص السحر والجن:

وهي وإن كان بعضها حقيقية من منظور إسلامي إلا أنها متقدمة جداً على عقل الطفل ولا يستطيع أن يدركها بسهولة فالأولى عدم تقديمها له من خلال القصص وخصوصا في سنوات الطفل الأولى.

- قصص الخوارق:

ويمثل فيها الأبطال أدواراً خارقة على الطبيعة الإنسانية مثل قصص الوطواط سوبرمان ويكون البطل منتصراً دائماً في النهاية ولا يعرف معنى الهزيمة يتحدى الآخرين ويتميز عنهم بقدرات عضلية أو أدوات متطورة جداً فضلاً عن عقل كبير ذكي واسع يعرف الخصم ويتعرف عليه دائماً وهي في مجملها ضارة نظراً لبعدها الشديد عن الواقع. وهذه القصص تؤثر على عقل الطفل ونفسيته وسلوكه فهو يحاول أن يقلد لكنه حتماً سيفاجأ بواقع مختلف لا يستطيع أن ينزل ما قرأه عليه فيصاب بالإحباط والهزيمة النفسية أحياناً ويلوذ بخياله هرباً من هذا الواقع الذي لا يستطيع أن يحاكيه وبدلاً من أن تكون هذه القصص مجالاً رحباً لسعة عقل الطفل ودافعاً له للتقليد الإيجابي فإنها تسلك به سبل اليأس والتعايش السلبي مع واقع الحياة العادية.

- قصص الجريمة والعنف (والجنس أحياناً):

وتتمثل بسيل من الروايات البوليسية المتخصصة أو بمواد دسمة من خلال مجلات الأطفال وهي في غالبها مترجمة أو مقتبسة من القصص الأجنبية ويندر أن تحمل هدفاً تربوياً أو ثقافياً سليماً. وتتميز غالباً بالسطحية وتركز على الإثارة والتشويق بعيداً عن المحتوى الجاد أو المعالجة الموضوعية ويلحظ عليها التوجه التجاري البحت حيث السلاسل المتصلة والقصص التي لا تنتهي والشخصيات المتجددة وهي توحي إلى الطفل بالشدة في الحياة وأخذ الأمور بالقوة ورغم أنها تنتهي بانتصار الخير على الشر إلا أن ما قبلها يهز ثقة الطفل بنفسه بل يدعوه أحياناً إلى تقليد عنصر الشر نظراً للقالب الذي تطرح فيه هذه القصص. كذلك يلحظ وجود خير محض في بعض الشخصيات وشر محض في شخصيات أخرى وهذا أيضاً خلاف الواقع مما قد يصطدم به الطفل أثناء معايشته للناس في أخلاقهم وسلوكياتهم التي تحوي من هذا العنصر وذاك كما هو الواقع المشاهد.

تاريخ أدب الطفل

برز أدب الأطفال إلى الوجود، وفرض نفسه في السنوات الأخيرة. فقد زاد عدد الأولاد الذي كانوا يبحثون عن الكتاب مع انتشار التعليم، ففكر بعض الناشرين باقتباس الأساطير والحكايات الشعبية والدينية وتبسيطها اعتقاداً منهم أنها سوف تكون ملائمة للأطفال. وفي القرن التاسع عشر عرف مفهوم (أدب الأطفال). وازدهر في القرن العشرين، فبرزت مجلات الأطفال وانتشرت كتبهم، وراجت برامجهم في الإذاعة والشاشة الصغيرة. وبذلك استقل (أدب الأطفال) وبات ميداناً خاصاً يستمد أصوله من معرفة الطفل نفسه معرفة عميقة، ومن معرفة البيئة التي يعيش فيها هذا الطفل، ومن ماضي الطفل، ومن القدرة على التنبؤ، ومن الإيمان بمستقبل الأمة التي ينتمي إليها، ومن دراسة الطبيعة والإنسان والعلوم. والطفولة مرحلة من الحياة تمتد من الولادة إلى سن المراهقة. ولها خصائصها التي تنمو مع نموّ الطفل نفسه وهو النمو الذي يشمل النواحي الجسمية والنفسية والخلقية والانفعالية والاجتماعية والإبداعية.

وقد ظلّت المعارف عن الطفولة ضعيفة قروناً عدة. وبقي الطفل، حتى القرن الثامن عشر تقريباً، (راشداً مصغّراً) في نظر الكبار. وقد شهد القرن الثامن عشر اللحظات التي اعتُرف فيها للأولاد بحقهم في التسلية وفي التعلم معاً. وعرفت خصائص الطفولة الفردية وأخذت قابليات الطفل واهتماماته بالحسبان. ولقي كتاب (إميل) الذي كتبه الفرنسي جان جاك روسو عن تربية الطفل وطبيعته اهتماماً واسعاً. وجاءت بعده عدة كتب أخرى. ثم بدأ الكتّاب يؤلفون قصصاً خاصة بالأطفال والفتيان ذات أهداف محددة مثل اكتساب المعارف وتعلم شؤون الحياة والمعيشة وتبني السلوك الحسن. واعترف بحق الطفل بالمطالعة الترويحية. وبذلك أصبح الأدب تربوياً وتعليمياً خلقياً وتعليمياً مدنياً. واختلط الأدب بالمطالعة الموجّهة نحو اكتساب المعارف والمعلومات ونحو إعداد المواطن الصالح. وقد انعكس ذلك كله على موقف الراشد من الطفل. فولّدت المواقف الجديدة، في العالم كله، ازدهاراً في المؤلفات الموجهة للصغار يكشف عن وجود النية التربوية والبنائية. وخضع الكتّاب لقواعد الكتابة للصغار فتجنبوا الألفاظ الغريبة والأساليب المجازية، وجعلوا جملهم قصيرة، واختاروا العبارات التي تثير المعاني الحسية من غير مبالغة في الزركشة والتفصيل وبذلك أصبح القارئ الصغير يقوم برحلات ممتازة سعيدة في الأساطير والروايات والآراء التي لا تهدف إلى التسلية فقط بل تستجيب كذلك لحاجات الطفولة العميقة فتلبيها، وتساعدها على النموّ

السعيد. ولقد استطاع أدب الأطفال أن يضع الخيالي بمقابل التعليمي، أي أن يجمّل حياة الصغار ويجعلها سعيدة.

تطور أدب الأطفال طبع أول كتاب للصغار في عام 1484 على يد وليام كاكستون وكان ذلك الكتاب (خرافات إيسوب). ثم تلته كتيبات أخرى في الأغاني أو في وصف الألعاب التي تجري في الحفلات أو في (الألواح) التي تضمّ الأبجدية والأرقام والصلوات. ولكن ذلك كله لم يكن في نطاق أدب الأطفال: لا من حيث الغرض ولا من حيث البنية. ثم جاء أشهر الكتب المخصصة للأطفال، في أوربة في القرن السابع عشر، وهو Ortis Pictus (العالم المصور) الذي وضعه جان آموس كومنيوس Jean Amos Comenius المربي التشيكوسلوفاكي الإنساني، في عام 1657. ولكن الكتاب كان تعليمياً. وظهرت في القرن السابع عشر نفسه بعض الكتب الموجّهة للصغار، إلا أنها كانت تلحّ على التربية الخلقية والدينية. أما بدء العصر الذهبي لأدب الأطفال فكان في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر حين دخل الميدان كبار المؤلفين في فرنسة وإنكلترا وألمانيا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية. وما إن حلّ القرن العشرون حتى كان في وسع الصغار أن يطوفوا العالم، ويجوبوا البحار، ويحلّقوا في الفضاء، بفضل وسائل الإعلام الحديثة وما تخصهم به. شواهد من العناية بأدب الأطفال المجتمعات التي اهتمت بأدب الأطفال كثيرة، وفيما يلي بعض الشواهد من مجتمعات اتسع فيها هذا الاهتمام.

أدب الأطفال في إنكلترا:

تكثر في أدب الأطفال الإنكليزي القصص التي تتصل بأولاد يضيعون في الغابة، أو أولاد منبوذين، أو الحسناوات التعيسات، أو القصص التي تتصل بالأهازيج والألعاب والشعر المبسّط الذي يظهر الكثير من الأقوال والأمثلة المتداولة. ويتصف أدب الطفولة الإنكليزي بأنه أدب مغلق يقتصر على عالم الطفولة وحده، ويختصر كل شيء ضمن أبعاد هذا العالم وأنه أدب ساكن في علاقته مع المكان والفراغ، وقد أدار ظهره للتقاليد الواسعة عن الحركة والانتقال، وظلّ في مكانه جامداً قد يترك فيه أولاد القصص غرفهم ليبحثوا ويكشفوا، لكنهم يكتفون بالتنقيب في أماكن ترضيهم وحدهم، وفي نهاية المغامرة يعودون إلى غرفهم. ثم إنه أدب يجمع بين الواقع والوهم ويجري التفاعل فيه بين الطفل وشخصية خفية، ويجعل غير الموجود أكثر حقيقة من الموجود، مع شيء من البساطة تنساب من خلال سحر الرواية: المساكن الإنكليزية القديمة المأهولة بالأشباح، وكشف الماضي، والحوار مع مرافق خفي لا يُرى.

تميل كتب الأطفال، في إنكلترا، إلى النزعة المثالية عند رديارد كيبلينج أو النزعة الإصلاحية العاطفية عند فريدريك فارار، أو أنها تؤيد الانفجار التحرري الذي يعدّ ردّ فعل على حياة القسوة التي كان يعاني منها الأطفال الصغار في إنكلترا. إن المؤلفين الذين يمكن أن يسمّوا (الكتاب الحقيقيين للأطفال) هم أولئك الدين يتقنون معرفة الأطفال، ويعرفون كيف يفاجئونهم في لعبهم، ويصغون إليهم، ويراقبونهم عن كثب، من غير تدخّل أو طرح أسئلة. ويأتي الكتّاب الإنكليز في المقدمة بين (الكتاب الحقيقيين). وقد زاد إقبال الصغار الإنكليز على المطالعة فاتسعت حركة الترجمة وحركة التأليف. فقد ترجمت من الفرنسية (ساندريلا)، و(الجميلة النائمة) و(ذو اللحية الزرقاء)، ومن العربية (ألف ليلة وليلة). ثم صدرت رواية (روبنسون كروزو) للكاتب دانييل ديفو (1719)، وتبعتها (رحلات غوليفر) للكاتب جوناثان سويفت (1726) كما ظهرت محاولات عدة لنشر مختارات من الحكايات الشعبية. ومنذ عام 1865 انفصل أدب الأطفال الإنكليزي عن الناحية التعليمية. وانتصر الخيال والإبداع والاهتمام بالموروث الشعبي وبالخرافة وبالحكايات الشرقية.

أدب الأطفال في فرنسا:

كان السادة وحدهم، في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، في فرنسا يتغذون بقراءة النصوص التي تدور حول الإحسان والفروسية والتربية في قصورهم. أما الأوساط الفلاحية والشعبية فقد كانت تكتفي بالاستماع إلى الرواة الأصيلين في أكواخها، وتستمتع في سهراتها بحكاياتهم وقصصهم.

وكان لها تقاليدها في الأغاني والأهازيج والحكايات التي كانت تدور حول الترويح والتسلية. ثم ما لبثت هده الحكايات والأغاني والأهازيج أن جمعت، فألف ما يُعرف باسم (الأدب الجوال) الذي كان ينقله الباعة الجوالون من مكان إلى آخر، وهو الذي ألّف، فيما بعد، نواة المكتبة الزرقاء للأطفال. ومن أهم الأسماء التي كان لها دورٌ بارزٌ في نشر أدب الأطفال في فرنسا: لافونتين وفينيلون وشارل بيرو والكونتيسة صوفي دي سيغور وجول فيرن وسواهم.

أدب الأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية:

المعروف أن الولايات المتحدة الأمريكية كشفت في أواخر القرن الخامس عشر، لذا يمكن الزعم بأنها خالية من التقاليد الأدبية وليس لها تاريخ أدبي حافل كما هي الحال في الوطن العربي أو في أوروبا أو حتى في إفريقيا. بل إنها كانت تستمد دائماً من الدول الأخرى التي سبقتها في هذا المضمار. وقد انتعش أدب الأطفال فيها، في السنوات الأخيرة، لأنه حصيلة آداب الأمم الأخرى، تضاف إليها الاستعانة بأحدث وسائل الاتصال. وقد برعت الولايات المتحدة الأمريكية في استغلال رؤوس الأموال وتطوير الوسائل السمعية البصرية، والاستعانة بأحدث منجزات التربية وعلم النفس والفن الصناعي، لذا يجد المرء فيها تقدماً جلياً في إنتاج الأشرطة المسموعة والمرئية التي تبث في داخل البلاد نفسها، وفي خارجها، وإخراجاً متقناً للمجموعات المصورة (الآلبومات) وللمسلسلات المرئية، واهتماماً كبيراً بالصورة (على حساب النص أحياناً) إلى درجة جعلت الصورة والحركية تسموان على النص وتسيطران عليه، مما يثير الفرح والدهشة عند الصغار، ويبرز لذة الكشف، ويروي الخيال. وبسبب وفرة رؤوس الأموال قامت حركة اقتباس واسعة من اللغات الأخرى وتوظيف الرسامين والفنانين والكتاب والفنيين. أراد الأمريكيون التركيز على المكتوب والشفهي على نطاق واسع في مجال أدب الأطفال وحاولوا الجمع بين نشاطهم في هذا المجال والحوافز التربوية، فأوجدوا ما يعرف باسم (ساعة القصة) أو (درس القصة)، بتحريض من الكاتبة القصصية المعروفة ساراكون بريانت. وقد أصبحت (ساعة القصة) هذه جزءاً من العلم الرسمي في المدارس والمكتبات الخاصة بالأطفال، يتحلق الصغار فيها حول المعلمة ليستمعوا منها إلى حكاية ويناقشوها فيها. وقد تبيّن من ذلك أن متعة الاستماع لا تقل عن متعة القراءة. وظهرت عندهم فكرة (المكتبة الملونة) التي تضم تخصصات عدة في رسوم كتب الأطفال وخبراء في الإخراج والتنفيذ وصناعة الأغلفة. وعلى هذا لا يمكن القول إن الولايات المتحدة الأمريكية لا تتمتع بتقاليد عريقة في أدب الطفولة وفي إنتاج الكتب المخصصة للطفولة، وإن إنتاج هذا الأدب مال حديثاً إلى ما تم الحصول عليه من الحضارات الأخرى وأن ثمة تطوراً واسعاً نال عمليات الإخراج ثم عملية الإبداع ولحق بذلك تصدير الكثير من أدب الأطفال الذي تم إنتاجه وإخراجه ليكون في متناول دول أخرى. ومن الكتاب الأمريكيين المعروفين الذين اهتموا بأدب الأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية لويزا ميّ ألكوت وفرنك توم وايلنور بورتر ومارغريت وايزبراون وراندال جاريل وسواهم.

أدب الأطفال في السويد والنروج والدنمارك:

اعتمدت البلدان الاسكندنافية على الترجمة والاقتباس من ألمانية على نحو أساسي. وبعد الحرب العالمية الثانية ظهر وعي لدى الناس بأن جمهوراً واسعاً من صغار القراء كان ينتظر أدباً وطنياً موجهاً له. يضاف إلى ذلك أن قاعات المطالعة استمرت في التطور وأصبحت هذه البلدان الشمالية تمتلك شبكة جيدة من مكتبات الأطفال. ظل أدب الأطفال مغموراً في هذه البلدان حتى ظهر هانس كريستيان أندرسن في الدنمارك (1875 – 1805). كان هذا الكاتب ابن إسكافي فقير، عاش طفولة سعيدة حتى وفاة والده وزواج أمه مرة ثانية. سحره المسرح فذهب إلى كوبنهاغن. وتمكن من الحصول على منحة دراسية ساعدته على الالتحاق بالمدرسة. وكان عمره آنذاك ستة عشر عاماً. وسرعان ما أصبح هذا الفتى معروفاً في الوسط الفني والاجتماعي في كوبنهاغن. وشرع يكتب قصائد وأشعاراً منثورة تحت عنوان (نزوات وخطوط). رحل أندرسن إلى فرنسا وإسبانيا وإيطاليا وكان له علاقات صداقة عدة مع فتيات صغيرات، من أهمها علاقته مع المغنية السويدية جيني ليند وقد تجلّت عبقريته في فن الحكايات، وظهر أول كتاب له (حكايات للأطفال) في عام 1835. ثم تبعه في كل عام تقريباً كتاب آخر كان يصدر في عيد الميلاد تماماً. وقد ألف بعض الروايات أيضاً وبعض الحكايات والرحلات والسيرة الذاتية (وهي حكاية حياتي 1850)، ومات في قمة مجده. نشرت قصصه كاملة تحت عنوان (حكايات) وترجمت إلى معظم لغات العالم. وفي حكاياته خصوبة الخيال وفيها كذلك نزعة حزن عميق. ويلاحظ أن معظم كتاب البلدان الاسكندنافية ينهلون من تراثهم الشعبي. حتى إن هانس كريستيان أندرسن نفسه كان مديناً للتراث الشعبي في الكثير مما كتب. كما كان يتقن فن سرد الحكايات. ويبدو لدى هؤلاء الكتاب أنهم يستمرون على ارتباطهم بماضيهم حتى وإن اتجهوا في قصصهم الخاصة بعيداً عن التراث الشعبي.

أدب الأطفال في روسيا:

كان للكاتب المعروف مكسيم غوركي دور بارز في الحركة الأدبية في روسيا، وفي توجيه الأدب، بصورة عامة، وأدب الأطفال، على وجه الخصوص. لقد كتب غوركي للأطفال، وعمل على تأسيس أكبر دار للنشر، تهتم بنشر أدب الأطفال وتوزيعه. وأجرى مسابقات أدبية وشعرية للأطفال وكان الفائزون فيها يكرّمون في بيت هذا الأديب الكبير يستمع إليهم وينصحهم ويوجّههم. يرى غوركي أن مسألة محتوى كتب الأطفال ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالخط الذي يجب أن يتبع في تربية الجيل الجديد تربية اجتماعية. والتربية الاجتماعية تعني عنده القيام بالعمل الثوري وتحرير دماغ الطفل من أساليب المحاكمة القديمة وتخليصه من الأوهام السابقة وإنقاذه من الأعراف والتقاليد التي كان يحددها الصراع بين الطبقات. وبكلمة أخرى فإن التربية الاجتماعية يجب أن تعمل على تحرير الطفل من النزعة الفردية ومن التركيز على الذات ومن ترسيخ الأنانية والتعصب. ويلح غوركي على تربية الأطفال تربية منظمة تساعد على جعلهم ينظرون إلى المستقبل لا إلى الماضي، وإن كان لا يحاول اقتلاعهم اقتلاعاً جذرياً من ماضي أمتهم، بل إنه يؤكد ضرورة شرح أحداث الماضي لهم شرحاً واضحاً صادقاً، ويبين أنه، لكي يبلغ الإنسان هذا الغرض، لا يكفي أن يعرض على الأطفال الوقائع والآراء والنظريات الغابرة عرضاً جافاً بل لا بد من وصف تطور العمل وأثره في تحديد الوقائع والمفاهيم والآراء والنظريات. ويجب على الإنسان أن يفسر لهم، بلغة معقولة، أن حرية الفكر لا يمكن أن تنتعش إلا على أساس الحرية العامة للعمل الإنساني. ويذكّر غوركي بأهمية الاعتماد على العلم والعمل في المجتمع الحديث وبأن المهمة تنحصر «في وضع العلم في خدمة خيال الطفل وفي تعويد الصغار التفكير في المستقبل» ويقول: «في وسعنا التحدث إلى الصغار عن الأمور الجدية بلغة جذابة ومقبولة وبعيدة عن الأسلوب التقريري التعليمي». ولا ينسى غوركي ضرورة استخدام الخبرة العملية الغنية التي يقدمها الناس العاديون الذين يجابهون الحياة عملياً في مختلف الميادين كالصيادين والبحارة والمهندسين والطيارين والفلكيين وعمال محطات الآليات والجرارات وغيرهم. ويركز غوركي على أهمية الحكايات الشعبية القديمة في نموّ الفكر والمخيلة وفي إدراك أهمية الإبداع في الفن وفي إغناء اللغة. ولم يكتف غوركي بذلك بل إنه التفت إلى الأطفال أنفسهم يسألهم رأيهم فيما يجب أن يُكتب. وكان أهم موضوع اقترح قد حدّد بكلمتين اثنتين: «كل شيء». لهذا نصح غوركي المسؤولين عن دار النشر الخاصة بأدب الأطفال أن يرضوا رغائب الصغار وأن يطبعوا سلسلة من الكتب الأدبية والعلمية والجغرافية والشعرية التي تساعدهم على التعلم في أوقات الفراغ وعلى نشر الفرح والسعادة حولهم.

أدب الأطفال عند العرب:

عرف العرب حكاية الحيوان في الجاهلية وفي العصور الإسلامية المتعاقبة، إذ كانت لهم حكايات كثيرة على لسان البهائم (بل النبات والجماد والأفلاك أيضاً). وكانت موجهة للراشدين الكبار بالدرجة الأولى. وفي الأمثال العربية مادة ثرّة لهذه الحكايات مأخوذة من الأمم الأخرى، وربما كان بعضها عربياً صميمياً. ومنها ما قيل نثراً، ومنها ما نظم شعراً، وكلها مما يسهل حفظه. وبين غايات العرب الأقدمين من تأليف تلك الحكايات وتداولها: معرفة العالم المحيط بهم، ومعرفة تراث السلف، والوقوف على ما كان عند الأجداد من حكم وأمثال، والتسلية والتمكن من اللغة، والموعظة والتعليم، والتربية الخلقية وأخذ العبرة. ومن الممكن أن يزعم المرء أن قصة الأطفال لم تكن من جوهر الأدب العربي، كالشعر أو الخطابة أو الرسائل، بل كانت ميدان الوعّاظ وكتّاب السير والسُّمّار يوردونها شواهد قصيرة على وصاياهم وحكمهم ونصائحهم، أي إنها كانت موجهة للكبار في الأصل. وإذا

انتقل المرء إلى بداية القرن العشرين وجد نهضة شاملة عمت الوطن العربي كله، ووجد الأدب ينمو نمواً ملحوظاً وتتعدّد فنونه ومدارسه. ولقد كان من حسن حظ الأطفال أن برز أدباء عرب اهتموا بالكتابة لهم كان من أبرزهم في مصر كامل الكيلاني (1959 – 1897).

وابتداء من الخمسينيات حدث تطوراً جذرياً ومسؤوليات إبداعية نحو إنتاج (كتاب الطفل وأدبه)، فقد قامت دار الهلال وهي دار صحفية مصورة بدعم دار المعارف التي تهتم بالمعرفة بدور فعال ونشط في أدب الطفل، وذلك بسبب إصداراتها المهتمة بهذا المجال، فأصدرت مجلتي (سمير) عام (1957)، و(ميكي) عام (1958)، ثم ظهرت (كروان) عام (1964) من دار التحرير للطباعة والنشر. وخلال هذه الفترة تكونت مجموعات من المثقفين والفنانين التشكيليين الذين أفرزتهم توجهات هذه المجلات، وأصبح الاهتمام واضحاً بالطفل وعالمه، لكن الملاحظ على ما تقدمه هذه المجلات، وتلك الأعمال الفنية أنها مستمدة في معظمها من الإبداع الفني والثقافي الأوروبي بخاصة، والقليل الذي ينتمي للشخصية العربية والإسلامية، خصوصاً في مرحلة كانت تعتز بانتمائها العربي، ومع كل هذا فإن هذه المرحلة تشهد البداية الحقيقية لأدب الطفل، أي الأدب الذي يقوم على أساليب فنية تناسب عقلية الأطفال، وتتفق ومراحل نموهم، وتتجاوب مع أفكارهم وإحساساتهم الخاصة، ووجدانياتهم النازعة، ويأخذ بهم في إطار مراحل نموهم، حتى يمكن أن تتأكد في شخصيتهم النامية الاتجاهات الإيجابية ، فتزيد خبراتهم وتجاربهم، وتثري معارفهم المتنوعة، وتتوفر لديهم أساليب فنية وصور وأخيلة وعواطف وأفكار تشوقهم وتمتعهم، وتحثهم على كل ما هو فاضل ونبيل وإيجابي، وقد دعم هذا كله إصدارات إبداعية تتخصص في علوم الطفولة، ودراساتها، وآدابها، بدءاً من رفاعة الطهطاوي وأناشيده، وعثمان جلال وترجمته لكتاب (العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ)، ثم الشاعر الهراوي وأعماله الشعرية الدينية، وسليمان العيسي ودواوينه الشعرية.

ثم ظهر في المرحلة نفسها، عبد الفتاح شلبي، ومحمد قدري لطفي، وأحمد العجان، ويوسف الحمادي، ومحمد أحمد برانق، ومحمد شفيق عطا، ومحمد سعيد العريان، وأمين دويدار، ومحمود زهران، وعطية الأبراشي، أمّا في سوريا فقد ظهر رضا صافي ونصرت سعيد، وعبد الكريم الحيدري. وبرز في الأقطار العربية الأخرى كتّاب آخرون كان معظمهم من المعلمين ورجال التربية، وقد استفاد هؤلاء الكتاب والشعراء من التراث العربي القديم ومن التراث الإنساني ومن الدراسات التربوية والنفسية التي كانت في بداياتها. تميزت بداية القرن العشرين بما وضع فيها من كتب مبسطة للأطفال ومن أقاصيص متنوعة استخدمت بهدف تربية الصغار وتسليتهم وحثّهم على المطالعة واكتساب اللغة. وقد سخّرت الحيوانات فيها، معظم الأحيان، لأن الحيوان مصدر للتفكّه عند الصغار. ولعل خير مثال يساق في هذا المضمار الشاعر أحمد شوقي. فقد كان شوقي من أبرز من تبنى هذا الاتجاه. فأساطيره مفعمة بالنقد والسخرية اللطيفة كان يوردها على لسان الحيوانات. وربما أشرك فيها الإنسان. كانت حكايات كتّاب الأطفال العرب تزيّن الاتحاد والتعاون وتقبّح الكسل والطيش والخيانة والخداع، وتدعو إلى حسن التربية، وتظهر مغبة تعجل الأمور وضعف النظر في العواقب والإهمال والغفلة، لكنها كانت تمجّد الفردية في بعض الأحيان ولا تنظر إلى المستقبل نظرتها إلى الماضي، وتكتفي بالنصح والإرشاد.

وقد تزايدت الاهتمامات بأدب الأطفال، وتعددت دور النشر التي اتجهت إلى إصدار كتب للأطفال، ومع مطلع السبعينيات تتابعت الإنجازات والمؤتمرات والندوات وحلقات البحث في ميدان ثقافة الطفل وأدبه.